لن اعيش مرتين

***

* ● *

اقسمت في صباحي النضير
وخاطري يهدهد الرجاء والدعاء
ويحمل اليقين ..
اقسمت ان اعود في المساء بالسلال
حشوتها محار ..
ملأتها سنابل انتصار ..

* * *

ورحت في المدى أجوب عالم النهار
الشمس في سمائها وحشية الضياء
والسحب في عراكها لا تمنح المطر
ودربي العنيد يستبيح ذلة الجباه
يروقه تشقق الشفاه بالدموع
بالخضوع بالاسى
يروقه ان يمنح الطقوس والقربان..
ويحرق البخور في السنا
وفي الدخان

* * *

وكنت قد اصغيت مرة لبعضهم
واسمعوني نصحهم :
.. « لكي تعود في بداية المساء
بالمحار »
.. « ولا تسائل الزمان .. او
تحار »
.. « لكي تعود حولك السنا وفوقك
الظلال »
.... « عليك ان تعيش مرتين »
فمرة .. امرغ الجبين في هوان
لدربي العنيد حين يستبيح كبريائي
ومرة ــ وليتها تصدق او تصير ــ
ارفع ثوبي الذليل .. استعيد
كبريائي الجريح

* * *

لكنني اقسمت في صباحي النضير
ان يخلد الذي يثور في الضمير
ان أرفع الجبين دائما .. وان اسير
لانني ..
مواقدي لا تحرق الدموع
لا تملك القربان ..
طاحونتي لا تقصف الضاوع
لا تطحن الهوان ..
اظافري لا تنهش الجراح
فليس في حقيبتي منديل
يجفف الدم الذي يسيل ..
أشواقي التي تلح في خواطري
تعلم اني قد اكون واحدا من الضحايا
وانني ــ ان كنت ــ لن اموت ميتة
البعير
ففي غدي .. احشر في المغامرين
لانني عشقت يوما نسمة المنايا
وغبت مرة بظلمة الجراح
ثم عدت لاهثا بلذة العطاء ..

* * *

بوركت يا تمردي العنيد
الله .. يا تشقق النعال
الله يا رماد قبضتي يا فتنة المحال
لقاؤنا هنا .. عذابنا .. هناؤنا
غربتنا .. جراحنا .. اباؤنا
شحوبنا تفقره اشواقنا ..
قلاعنا تطرحها شباكنا ..
بخورنا تنثره قلوبنا
النجم .. لو يضيء مرة لنا
فضوؤه يشبعنا ..
بوركت يا تمردي ..
ماذا اذن جنى الذين قدموا القربان
وارخصوا الدموع والهوان
ماذا جنوا .. سوى الدموع والهوان
يسائلون امسهم .. ولا يجيب
ويرقبون نبعهم ولا يبين ..
لم تنبض الدماء في عروقهم عزاء..
فقد رضوا بيتمهم .. وحلمهم ذليل
رُحماك يا دموع ..
بوركت يا تمردي ..
الله يا دموعنا ..
اذ نتساقى صبرنا الاليم ..
ولا نذل مرة ولا نهيم ..
الله يا عزاءنا ..
اذ تعصر الجفون في وداعنا الحنين
ولا يقال ذات يوم ..
« اولئك الذين يخطئون »
« لانهم .. نفوسهم تعيش مرتين »
« وتستبيح ذلة الجبين »
فلتظمأ الحلوق مرة ..
وحسبنا لحين ..
ان نعشق الظمأ ..
ولتغلق الابواب في وجوهنا ..
وتسبل البراقع التي على وجوههم..
فلن نريق نشوة تلذ في المقل
ولن نمد بسمة وديعة للأمل ..
ولن نبوح بالحنين للمجاهل الخصيبه
فنحن وادعون صامدون للحياه
على ضفاف نبعنا البعيد
نعيش مرة عبورنا ولو يطول
ففي غد قريب ..
خلف الخميل فرحة اللقاء
تبر بالقسم ..
وتمنح المساء نجمه الجديد ..

احمد سويلم